الفصل الثالث

الفكر الاجتماعي اليوناني

- مقدمة
- دراسة المجتمع في الفلسفة اليونانية
- الفكر الاجتماعي عند أفلاطون
- الفكر الاجتماعي عند أرسطو
- نماذج أسئلة الفصل الثالث

obeikandl.com

obeikandl.com

مقـــدمة :

إذا كانت الحضارات القديمة الأولىٰ قد نشأت على ضفاف الأنهار في مصر والعراق والهند، فإن الحضارات الثانية قد نشأت على شواطىء البحر المتوسط حيث أنشأ اليونان قبل ميلاد المسيح بقرون كثيرة مستعمرات من الجزر وأشباه الجزر متناثرة بين الشاطىء الأوروبي والشاطىء الأسيوي، لتضم شبه الجزيرة اليونانية عدداً كبيراً من المدن الكبيرة بسماتها القريبة لمفهوم الدولة ولعل مدينة أثينا نموذجٌ لهذه المدن وللمجتمع اليوناني، لأن هذه المدينة هي الأبرز من ناحية اهتمام المفكرين اليونانيين بها، ولكونها الأكثر قيمة سياسية واجتماعية وثقافية[1].

وبالرغم من طبيعة هذهِ الجزر من ناحية حجمها وسكانها، إلاّ أنها كانت مثيرة للجدل من ناحية عطائها الحضاري للبشرية في مختلف المجالات، حيث جعلت الكثير من المفكرين والمؤرخين يصابون بالدهشة والإعجاب، لما حققته الحضارة اليونانية من تقدم كبير في صنع الحياة وابتكار العلوم، ولتأثيرها البارز على الأمم من ناحية التفكير وصياغة النظريات رغم بساطة وصغر الأمة اليونانية[2].

لقد هبط على جنوب شرقي أوروبا من الشمال في القرن العاشر ق.م شعبٌ آري أدخل على مدنية العصر نوعاً جديداً من الثقافة، مبنياً على البحث العلمي والفكري والمنطقي، وهو الشعب الأغريقي، الذي انصرف إلى البحث الفكري والمنطقي، مقدراً قيمة العقل البشري في تفهم حياة الإنسان ومنشئاً حضارة جديدة[3].

وبالنظر للبيئة المحيطة ببلاد اليونان، فقد تأثرت الحضارة اليونانية بالحضارات القديمة، كحضارة مصر والعراق، حيث كان معظم اليونان يعتقدون إن عناصر كثيرة من حضارتهم قد جاءتهم من مصر، وتعزو قصصهم نشأة كثير من المدن اليونانية إلى رجال من أمثال (كدموس) و (دانوس) الذين جاءوا من مصر، ونقلوا الحضارة

المصرية إلى بلاد اليونان عن طريق فينيقيا وكريت. كما زار مصر كثيرون من عظماء اليونان المشهورين، فأعجبوا أشد الإعجاب بحضارتها وبمجتمعاتها، ومنهم طاليس وفيثاغورس وأفلاطون وديمقريطس، كما أخذت بلاد اليونان عن بابل نظام موازينها ومكاييلها وساعتها المائية وقواعد الفلك وآلاته وسجلاته وحسابه ونظامها الستيني[4].

ولكن ينبغي الاعتراف بأن الحضارة اليونانية استطاعت من خلال تأثرها بالحضارات الأخرىٰ، أو من خلال إبداعات إنسانها، أن تؤسس منهجاً علمياً في الحياة، حيث تبلور الفكر الاجتماعي المنظم عن المجتمع، متجاوزاً طابع الإصلاح الاجتماعي إلى البحث عن الحقيقة، وتحرير العلم من قيود الدين، وتطوير البحث العلمي باتجاه الاستقلال عن كل ما عداه.

كان هذا التحرر والتطور مظهرين من مغامرات العقلية اليونانية الجامحة، وهو السر الذي جعل بصمات التفكير اليوناني واضحة في التفكير والنظريات الاجتماعيّة حتى اليوم.

دراسة المجتمع في الفلسفة اليونانية

/ مع إن الفكر اليوناني اهتم بدراسة الفلسفة والأخلاق والقانون والسياسة إلاّ إن هذه الدراسة كثيراً ما كانت تعالج القضايا من خلال دراسة المجتمع اليوناني. فالطبقية كانت تفرز ظواهر اجتماعية سلبية على الأفراد والمجتمع على حد سواء، والنظام السياسي وتركيبته كان يفرز هو الآخر طبقات متباينة في الحقوق والواجبات، حيث كانت طبقة الأشراف تحكم البلاد طوال الحياة، ثم أصبحت لمدة عشرين عاماً، ولا يخرج الحكم عن هذهِ الطبقة، فكان الفقراء هم العبيد والإشراف هم الحاكمين. وهذا ما أدىٰ إلى ازدياد الظلم تحت تشريعات الأشراف، وهو السبب الذي أدىٰ إلى قيام الثورة في أثينا بسبب هذه التشريعات الاجتماعية الظالمة[5]. وهو الأمر نفسه الذي أدىٰ إلى ظهور عدد كبير من المفكرين والفلاسفة في أثينا بالذات الذين دعوا إلى دراسة المجتمع، وإجراء إصلاحات في التنظيم الاجتماعي من خلال أفكارهم الفلسفية والسياسيّة.

وبالرغم من إن (سولون) و (كلستينيس) و (بركليس) و (سقراط)، قدموا أفكاراً مهمة في بعض جوانب دراسة المجتمع، إلاّ إن (أفلاطون) و (أرسطو) كانا الأقرب والأوضح في مجال التفكير الاجتماعي، وهو الأمر الذي سيجعلنا نركز عليهم أثناء دراسة أفكارهم.

مفكرو اليونان

سولون:

1 ـ إن النظام من ضروريات الحياة الاجتماعية. فالقانون عمل إنساني، وطالما كان القانون محل جدل، فإن كل فرد يستطيع توجيه النقد له ويورد عليه ما يشاء من تحفظات. والقانون مقيد للسلطات لأنه يعتمد فعالية من قوة عليا. أي من الطبيعة ومن المبادىء الآلهية التي تنظم العالم[6].

2 ـ يعطي أهمية للتعليم المنزلي، وضرورة أن يعلم الآباء أبناءهم الأدب وذلك من خلال إصدار قانون إجباري[7].

3 ـ اهتم بسنّ القوانين الاجتماعية لتحرير الشعب من قيود الاستغلال والتي كانت تهدف إلى إعادة تنظيم المجتمع الأثيني ومنح الحريات لكل طبقات المجتمع[8].

4 ـ تحريم قتل الأبناء وبيعهم[9].

كلستينيس:

1 ـ ألغىٰ امتيازات الأرستقراطية.

2 ـ نقل الحكم إلى يد الجمعية الشعبية التي تضم جميع المواطنين الأحرار.

3 ـ كون مجلس الخمسمائة الذي يشرف على نظام الإدارة والقضاء والأعمال التنفيذية[10].

بركليس:

1 ـ من حق الفرد أن يمارس السياسة، وهذا أدىٰ إلى زيادة سلطة الشعب[11].

2 ـ عرف بعدم إيمانه بالحرب حيث يعتقد أن البحر لا البر والتجارة لا الحرب هما سبيل السيطرة والسيادة[12].

سقـــراط:

1 ـ اهتم بدراسة مشكلة الأخلاق، وفلسفته كانت علم الأخلاق، والسياسة مدخلها، والوسيلة إليها المنطق[13].

2 ـ متىٰ عرف الإنسان إن الفضيلة هي الطريق إلى السعادة فإنه لا يخطىء طريقها[14].

3 ـ استخدم سقراط الشك كطريق لفهم العلم، مما مهّد إلى إبراز الاتجاه التجريبي فيما بعد.

4 ـ (اعرف نفسك..) هذا كان محور تعاليم سقراط. فالإنسان بطبيعته صالح، والشر الذي يأتيه الإنسان إنما يأتيه من جهله بنفسهِ. وإن الفضيلة هي هدف الإنسان، ولن يبلغ الإنسان هذا الهدف إلاّ إذا عرف نفسه[15].

الفكر الاجتماعي عند أفلاطون

كانت فترة حياة أفلاطون من عام 427 ق.م من أسرة أرستقراطية إلى وفاته عام 347 ق. م[16]. عاملاً أساسياً في تكوين أفكاره الاجتماعية والفلسفية، حيث شهدت أثينا مكان ولادته وحياته بعض الظروف العصيبة التي أثرت على مجمل الأوضاع الحياتية، فقد ألقت هزيمة أثينا أمام أسبرطة قبل ولادته بسنوات عديدة بظلالها على حياة الإنسان الأثيني، وما أحدثته من انكسارات نفسية واجتماعية عليه. كما إن البلاد مرّت بألوان من الحكم الديكتاتوري والديماجوجي، وسيطرة ظاهرة السفسطة وتأثيراتها السلبية على نظم المجتمع وتفكيره. وكل هذه العوامل دفعت أفلاطون إلى البحث عن الحقيقة واستنتاج حلول للمجتمع اليوناني.

كما كانت لزياراته لإيطاليا وصقلية ومن ثم لمصر وشمال أفريقيا وتأثره ببعض الأفكار الاجتماعية والسياسية السائدة آنذاك، خاصة تأثرهِ بالقيمة العملية للتخصص وتقسيم العمل بين الطبقات الاجتماعية في مصر وتأثرهِ بالمدرسة الكهنوتية في عين شمس[17]. آثار واضحة في حياته وفلسفته وآرائه:

كما تأثر أفلاطون بالمدرسة الفلسفية التي كانت في شمال أفريقيا، والتي تقع حالياً في ليبيا بجوار مدينة شحات الأثرية، مما شجعه على إنشاء مؤسسة تعليمية سماها (الأكاديمية) وهي قلعة علمية ومنارة للمعرفة، حيث أمها طلاب من روما ومن معظم أرجاء العالم القديم[18].

وربما كانت هذه النشأة العلمية وتكوينه المعرفي، وتأثرهِ بأستاذهِ سقراط، قد

جعلت فكرته الأساسية التي سيطرت على فلسفته السياسيّة والاجتماعية قائمة على إن الفضيلة هي المعرفة، والتي انعكست في الكثير من مؤلفاته، لعل أبرزها (الجمهورية) و (القوانين) و (السياسي).

ولعل جوهر أفكاره محاولته تجاوز الواقع المرير الذي يعصف بالمجتمع اليوناني من مشكلات وصعوبات، والبحث عن مجتمع يخلو من الظواهر الاجتماعية السلبية. لهذا كان كتابه (الجمهورية) بمثابة نقطة انطلاق لأفكارهِ المثالية، حين تصور أفلاطون إن خلاص الإنسان اليوناني هو في مدينته الفاضلة، التي تقوم على الفضيلة والعدالة وتشرف عليها حكومة من الفلاسفة أو الحكماء.

ولعل أبرز أفكار أفلاطون في جمهوريته تتمثل بالآتي:

الفضيلة هي المعرفة، التخصص وتقسيم العمل، الفئات والطبقات الاجتماعية والأنفس، العدالة، التربية والتعليم، الرأي العام، ونظم الحكم.

الطبقات الاجتماعية والأنفس

خلق أفلاطون معادلة اجتماعية واقتصادية ونفسية حينما ربط بين (الحاجة) و (الطبقة) و (النفس) محاولاً تفسيرها شمولياً من ناحية الوظائف. فهو يحاول في (الجمهورية) أن يركز على البناء الاجتماعي الذي يقوم على أساس طبقي لتعمل على إشباع حاجات مجتمع المدينة وتحقيق ذاتية كل طبقة. فهو يعتقد بوجود ثلاث وظائف رئيسيّة: إشباع الحاجات الطبيعيّة، حماية الدولة، الحكم. ولأن أفلاطون يؤمن بالتخصص وتقسيم العمل فإنه يعتقد (بأن المجتمع يتكون من ثلاث طبقات وعلى رأسها طبقة الحكام الفلاسفة الذين يوكل إليهم أمر الحكم وإدارة دفة البلاد)[19]، بحيث جمع أفلاطون برنامج الدولة في فضائل ثلاث: الحكم في الحاكم، والشجاعة في المحارب، والاعتدال في المواطن. وهو يعطي للدولة بعداً اجتماعياً حينما يعتقد بأنها ينبغي أن تهيمن على كل شيء، على حياة الفرد في الزواج ورعاية الأطفال وتربيتهم وفي مساواة الرجل والمرأة وفي الخدمة والتعليم، وفي الحياة الاجتماعية الشاملة[20].

وعلى هذا الأساس ظهرت طبقات ـ فئات اجتماعية هي:

(أ) **الحكام**، وهم يمثلون رأس المجتمع أو عقل المجتمع، وأفراد هذهِ الطبقة من الفلاسفة الذين ينبغي أن تتوافر لديهم الحكمة والشجاعة والعدالة، وهذه الطبقة هي المؤهلة للحكم.

وكان أفلاطون يعتقد إن واجب الحاكم أن يحمل الناس على طاعة القوانين بقوتين: الاحترام وهو عن طريق المعرفة، والخوف وهو بطريقة قوة الحاكم[21]. ويرمز لهذهِ الطبقة بالذهب.

(ب) **الجند**، وهم قلب المجتمع. وأفراد هذهِ الطبقة لهم امتيازات وحقوق وواجبات تتمثل في أحقيتهم بالحكم ولكن تحت رقابة وتوجيه، ووظيفة هذه الطبقة حماية الدولة من الداخل والخارج. ويرىٰ أفلاطون بأن هذه الطبقة لا بد أن تتدرب على الشجاعة وعدم الخوف من الموت، والاعتدال في الأكل والشرب والحب. وتتصف بالشجاعة والكرم والرجولة والنزاهة. وقد رمز لها بالفضة.

(جـ) **العمال**، وهم يمثلون الشهوة أو بطن المجتمع، وأفراد هذه الطبقة يتولون العملية الإنتاجية (زراعية، حرفيّة، تجارية... الخ) وتحتل هذه الطبقة المكانة الدنيا بين طبقات المجتمع. وقد رمز لهم بالحديد ـ النحاس.

التخصص وتقسيم العمل

تتلخص فلسفة أفلاطون في نشأة المجتمع بالربط الواضح بين البنية الطبقية والتخصص وتقسيم العمل بحيث إن الحاجات في مدينته المثالية تتحقق وتشبع من خلال تقسيم للعمل والتخصص الاجتماعي الطبقي المحدّد. وهو بذلك يقدم تفسيراً اقتصادياً لنشأة الحياة الاجتماعية القائمة على حاجة الإنسان الاقتصادية لأخيه الإنسان، وهو بذلك (ينظر نظرة نفعيّة إلى ضرورة الاجتماع والحياة الاجتماعية)[22].

ومن هنا يمكن القول إن التخصص وتقسيم العمل يقومان على عاملين أساسيين هما: الاستعداد الطبيعي للفرد متمثلاً في العوامل الوراثية، والتدريب الذي يشير إلى

العامل أو العوامل المكتسبة، وما يرتبط بهِ من مسألة الخبرة أو التعليم أو المهارة، التي يمكن اكتسابها وتنميتها عندما يتناسب عملهم مع استعدادهم الطبيعي. وهذا هو السبب الذي جعله يهتم بالتخصص وتركز على ما أسماه أفلاطون بتبادل السلع والخدمات بين أفراد المجتمع.

فالاكتفاء الذاتي مستحيل تحقيقه، وللناس حاجات متعدّدة، وهذا يتطلب مزيداً من التبادل الاقتصادي والتعاون بين أفراد المجتمع.

القوانين والحياة الاجتماعية

شكلت القوانين ركناً أساسياً في الفكر الاجتماعي عند أفلاطون، حيث جعلها الأساس الجوهري في تنظيم الحياة الاجتماعية، لذلك أشار في كتابهِ (القوانين)، والذي كتبه في شيخوخته، بضرورة سيادة القانون في الحياة البشرية. فالدولة المثالية في (القوانين) خاضعة للقانون الذي يسري على كل من الحاكم والمحكوم.

بينما كانت رؤيته في (الجمهورية) قائمة على حكم الفيلسوف الذي لا يخضع لأيّ قيد من القواعد القانونية أو التنظيمية العامة. ومع ذلك ظل حتى النهاية مقتنعاً بأنه يجب في الدولة المثالية أن يسود العقل خالصاً ومتجسماً في الملك الفيلسوف الذي لا يقيده قانون أو عرف[23].

فالقانون من وجهة نظر أفلاطون ينظم الحياة الاجتماعية بأبعادها الإنسانية، ويكرس مبدأ التضامن الاجتماعي والعدالة، ويقلّل من الصراع الاجتماعي.

فالعدالة في مفهوم أفلاطون ذات شقين: إعطاء كل فرد ما له بتوفير العمل المناسب لاستعداداته الفطرية ومؤهلاته ورغباته، والشق الثاني هو معرفة كل فرد بواجباته واتقان عمله. وتأسيساً على ذلك فالعدالة وظيفة اجتماعية متمثلة بتوطيد العلاقات الاجتماعيّة والصلات بين أفراد المجتمع.

بينما نظر إلى التنشئة الاجتماعية باعتبارها الأساس لتكوين (المواطن الصالح)، وهو يعتقد بأن عدالة الدولة تهدف إلى تحقيق التوافق بين الأفراد، وتحقيق هذا المبدأ

برأيه يتمثل بتطوير وزيادة الصفات الطيبة والإيجابية الواجب توافرها في المواطن الصالح، مع إزالة العقبات التي تعترض طريق الفرد أو ما عبّر عنه (شيوعية أفلاطون) أو (اشتراكية أفلاطون).

وشيوعية أفلاطون تقوم على ركنين أساسيين هما:

(أ) تحريم الملكية الخاصة على الحكام سواء كانت منازل أو أرضاً أو ملكاً... الخ وجعلهم يعيشون في شبه معسكرات ويتناولون طعامهم على مائدة مشتركة.

(ب) إلغاء الزواج الفردي الدائم واستبداله بالإنسان الموجه وفقاً لمشيئة الحكام بهدف إنتاج أفضل سلالة ممكنة[24].

ويمكن الإقرار بأنه حدث تطور في الفكر الاجتماعي لأفلاطون بعد كتابهِ (الجمهورية)، وخاصة في كتابه (القوانين)، حيث تراجع عن الكثير من الأفكار الاجتماعية التي طرحها في باكورة شبابهِ.

فقد تخلىٰ عن السمتين الرئيسيتين لشيوعيته، حيث سمح بقيام الملكية الخاصة، ونظرته الجديدة للأسرة، وتمسكه بشأن مساواة الرجل بالمرأة في التعليم ومشاركتها في الواجبات المدنية والعسكرية.

وفيما يتعلق بالأسرة فقد اعتبرها النواة الهامة في الحياة، وهو يقول (يجب على المواطن الحر أن يكون له زوجة وأسرة وملكية خاصة)[25]. وهو بهذا يعَدّ بالوضع الشرعي للزواج متمثلاً في صورة الزواج الدائم مع وجدانية الزوجة.

كما أنه يطرح في (القوانين) قيام مجتمع خالٍ من الطبقية والصراع الاجتماعي، عندما وضع قيوداً كثيرة بخصوص الملكية لتقليص الفوارق بين الأغنياء والفقراء، وعندما أعطىٰ الفرد الحرية، مهما كانت طبقته، والحق في العمل بالصناعة والزراعة والتجارة. وأهم ما جاء به من تقسيم جديد للعمل في كتابه (القوانين) هو أن يقوم الأرقاء بأعمال الزراعة ويتولىٰ الأحرار ـ غير المواطنين ـ كلا من التجارة والصناعة، أما المواطنون فإنه يخصهم بالوظائف السياسيّة[26].

أما جانب التعليم، فإنه يرىٰ أن للتعليم وظيفة اجتماعية هامة، وجوهر العملية

التعليمية هو قوله بأن الفضيلة في المعرفة، وعن طريقها يمكن تحقيق التقدم المنشود حيث دعا إلى قيام نظام تعليمي إجباري، وإنشاء مدارس نظامية للمرحلتين الأولية والثانوية، وإعداد المعلمين[27]. وأن تشرف الدولة إشرافاً تاماً على شئون التعليم والنشر وأن لا تفرض الرقابة على الآداب والعلوم والفنون[28].

obeikandl.com

خلاصة أفكار أفلاطون

1 ـ فكر غير واقعي مستند إلى طوباوية في الآراء والاتجاهات، وهو رد فعل للواقع الاجتماعي المهترىء بنظامه الاجتماعي، وبنيتهِ الاجتماعيّة الجامدة. وهو الأمر الذي دفعه إلى الهروب من الواقع الاجتماعي بتنظيراته غير الواقعيّة.

2 ـ فكرة قائم على تصورات ذهنية وتطلعات مثالية مبعثها الأزمة الاجتماعية التي عصفت بالمجتمع الأثيني ومؤسساته الاجتماعية، وما أحدثه الفكر السوفسطائي من شرخ كبير في الحياة الفكرية والسياسيّة، وعلى تفكير الإنسان اليوناني.

obeikandl.com

الفكر الاجتماعي عند أرسطو

أثارت حياة أرسطو طاليس وأفكاره المتنوعة الكثير من الجدل والنقاش والتحليل بين فلاسفة عصره وفلاسفة العصر الحديث، للتنوع العلمي والفلسفي في فكره وتبنيه للمنهج الاستقرائي، وطروحاته العلمية الدقيقة في تناول موضوعاته التي بقيت حتى هذا اليوم شاخصة في الحياة العملية.

فكتابه (السياسة) لا يزال بعد ثلاثة وعشرين قرناً من الزمان هو الكتاب الأساسي والتقليدي لكل فروع العلوم السياسية، ولا يدانيه أيّ عمل لا وضوحاً ولا دقة في التعبير ولا تنوعاً في الموضوعات.

ولعل إسهاماته الضخمة في مجالات العلوم المختلفة كالعلوم الطبيعيّة والأحياء والفيزياء والفلسفة وعلم المنطق وعلم الجمال وعلم النفس والخطابة، ساعدته على بلورة فكره العلمي ورصانة معلوماته وأفكارهِ، فاشتهر بالمعلم الأول حيث قيل: إذا كان أفلاطون معلم الفضيلة فإن أرسطو معلم العقل.

ولد أرسطو سنة 384 ق.م في ستاجيرا إحدى المدن اليونانية على الساحل المقدوني، وينحدر من أسرة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة، وكان والده طبيباً في البلاط الملكي، وفي سن السابعة عشر ذهب إلى أثينا حيث تتلمذ على يد أفلاطون ودرس بمدرسته (الأكاديمية) لمدة اثنتا عشرة سنة حتى وفاة أستاذه عام 347 ق.م. وفي السنوات الاثنتى عشرة التالية قام بعدة سفريات، ثم التحق ببلاط الملك فيليب المقدوني معلماً لابنه الإسكندر الذي لقب فيما بعد الإسكندر الأكبر[29].

وقد عاد أرسطو إلى أثينا بعد تولي الإسكندر الملك، وأنشأ بها مدرسة للفلسفة ظل يعلم بها تلاميذه إلى وفاته عام 322 ق.م وهو في الثانية والستين من عمرهِ[30]. وكانت البرامج الدراسية لهذه المدرسة تشتمل على جميع فروع المعرفة.

وقد اختلف أرسطو مع أستاذه أفلاطون بالكثير من الأفكار الاجتماعية والسياسية، حيث كان أرسطو واقعيّاً وعملياً واتبع منهجاً علمياً رصيناً في طروحاته الفكرية، مهتماً بعملية الاستدلال، وتركيزه على الاستقراء الواسع قبل عملية القياس.

وباختصار فإنه (رغم إغلاطه فهو واضع أساس البحث العلمي وأول من نظم التعاون في البحث العلمي)[31].

ولأن أرسطو كان شاملاً في أفكارهِ، ومتنوعاً بموضوعاته، فإننا سنحاول الاقتراب من فكره الاجتماعي من خلال الموضوعات الآتية:

نشأة المجتمع

إذا كان أفلاطون يعتقد أن سبب نشأة المجتمع والحياة الاجتماعية يعود إلى الحاجة الاقتصادية النفعيّة، فإن أرسطو يرجعها إلى عامل الغريزة الطبيعيّة الموجودة داخل النفس البشرية، والتي تجعل الإنسان بفعل هذه الغريزة منجذباً للاجتماع مع الجماعة لأن الإنسان بطبعه كائن اجتماعي أصلاً. وهذا يعني إن التفسير الذي قدمه أرسطو لنشأة المجتمع هو تفسير سايكولوجي مرتبط بالنزعة الغريزية الطبيعية داخل النفس البشرية.

ولعل اهتمامه بموضوع النفس (Psyche) وتحليله لها كبعد نفسي واجتماعي هو الذي دفعه إلى هذا التحليل، فالنفس عند أرسطو هي الدافع الداخلي الأول في الكائن العضوي، أيّ الصورة الفطرية المقدرة لهذا الكائن والتي تدفع نماءه وتحدد اتجاهه.

فالنفس موجودة في داخل الجسم وليست خارجه، فهي موجودة معه في كل جزء من أجزائه، أيّ أنها هي الجسم نفسه من حيث (قدرته على تغذية نفسه وتنميته وانحلاله)[32].

كما أن أرسطو ينظر إلى نشأة المجتمع وتطوره من رؤية تطورية قائمة على أساس القاعدة الطبيعيّة، بمعنى آخر إن الظواهر تنمو من البساطة إلى التعقيد. من العائلة ثم القرية ثم الدولة.

المجتمع السياسي والدولة

يحدّد أرسطو مفهومه للدولة بأنها المجتمع[33]، وهو بذلك يستمد فكرته من دولة المدينة بمساحتها وسكانها المحدودين.

وجوهر فكرة أرسطو للدولة تتلخص بنقطتين:

(أ) تطورت الدولة من مؤسسات اجتماعية ابتداءً بالعائلة فالقرية ثم دولة المدينة، وفي هذا التدرج التاريخي فإن الدولة هي المرحلة النهائية والأخيرة في تطور العلاقات الإنسانية.

(ب) الدولة سابقة على الأسرة والفرد طالما أن الكل يكون بالضرورة سابقاً على الجزء. فالإنسان بالطبيعة كائن سياسي اجتماعي. أما الجانب الثاني من أفكاره فهو لا يعتبر الدولة مجتمعاً فقط بل هي أرقىٰ المجتمعات، لذا يقسم المؤسسات الاجتماعية والسياسية برؤية تطورية طبيعيّة، وصولاً إلى تكوين الدولة، وبالصورة الآتية:

- **مؤسسة الأسرة:** هي أول نوع من الرابطة الاجتماعية، وهي الحلقة الأولىٰ في سلسلة التطور الاجتماعي، وهي الدرجة الأدنىٰ في سلم القيم حيث أنها نشأت لتشبع الحاجات اليوميّة للإنسان.
- **مؤسسة القرية:** وهي أكثر تشابكاً وتعقيداً من العائلة، وتهدف إلى تحقيق شيء أهم من الحاجات اليوميّة للفرد. إذ ترمي لإشباع الحاجات الثقافية الأساسية التي لا يمكن للأسرة منفردة تحقيقها.
- **الدولة (مدنية الدولة):** وتعتبر الأعلى والأرقىٰ بين المنظمات الاجتماعية، فهي

الأرقىٰ والأكثر تطوراً من عدة نواحٍ: من ناحية التطور الاجتماعي والقيم والأهداف[34].

كما أنه لا يرىٰ وجود فارق جوهري بين المؤسسات الاجتماعيّة والسياسة، فالمؤسسات بأنواعها برأيه هي مؤسسات سياسيّة، طالما أنها تهدف إلى الخير العام عن طريق العمل المشترك. وهو يعتقد أيضاً بوجود رابطة عضوية بين الفرد والمؤسسات الاجتماعية والدولة.

وقد أعطىٰ أرسطو اهتماماً كبيراً للقانون، فهو يؤكد على إن حكم القانون أفضل من حكم أيّ إنسان، ولا بد من سيادة القانون في الدولة ونشر العدالة فيها، مؤكداً تفضيله للقانون العرفي على القانون الوضعي. فمهما كانت الحكومة القائمة على أساس القانون غير عادلة تماماً، فإنها أقل شراً من حكومة تقوم على الفرد[35].

الأسرة ووظائفها الاجتماعية:

يعتبر أرسطو الأسرة نواة المجتمع والحلقة الأولىٰ في سلسلة التطور الاجتماعي. ونشأتها ضرورية لإشباع الحاجات اليوميّة للإنسان، ونظرة أرسطو للمرأة والرجل تختلف عن أفلاطون، فهو يفرق بينهما ولا يؤمن بالمساواة. فالأب هو صاحب السلطة داخل الأسرة، سلطته الأبوية على الأبناء وسلطته على زوجته أو زوجاته، وسلطته على الموالي والأرقاء والعبيد[36]. بينما يحدد وظيفة الأسرة وصفاتها وواجباتها بالنقاط الجوهرية الآتية:

(أ) وظيفة الأسرة تتمثل في أن تأتي إلى المجتمع بأطفال أصحاء. لذلك منع زواج المرضىٰ والضعفاء، كما منع الزواج المبكر والمتأخر وطالب بتحديد النسل.

(ب) أن تكون تربية الأطفال والنساء متوافقة مع النظام السياسي[37].

(جـ) تضامن الأسرة عضوي وليس ميكانيكياً.

(د) الزواج من دعائم التضامن والتكافل الاجتماعي.

(هـ) الأسرة تحتاج إلى إشباع حاجاتها الثقافية من مؤسسات القرية والدولة[38].

فبقاء الأسرة يعتمد على التجمع الإنساني الذي يتكون من الأسرة والقرية ثم الدولة.

مفهوم الرق عند أرسطو

بالرغم من أن أرسطو طلب في وصيته تحرير عبيدهِ، مما جعل البعض يرىٰ في ذلك إعلاناً لتحرير الرقيق في التاريخ[39]. إلاّ أنه كان أكثر تعصباً في حياته للرق وميلاً للتفرقة العنصرية.

فأرسطو يعتقد بوجود شعوب متفوقة وحرّة، وبشعوب أخرى موصومة بسمات العبودية والحطة[40]. بينما ينظر للأرقاء نظرة دونية، فهو ينكر عليهم القدرة على التصرف برشد من تلقاء أنفسهم ولكنهم لديهم القدرة على استيعاب أوامر وتصرفات سادتهم. لذلك يعتقد بأن علاقة الرق بسيده ينبغي أن تكون تبعيّة كاملة.

ومع ذلك ينبغي الاعتراف بأن أرسطو حاول أن يوجد علاقة بين طبقة السادة والعبيد من خلال دعوته لإقامة تعاون وصداقة بينهما مع ضرورة أن تكون سلطتهم على الأرقاء قائمة على أساس من الأخلاق. وهذا ما جعله يحث الإغريق على أن يطبقوا في حربهم ضد بعضهم البعض أعلى مبادىء ومثل لا يطبقونها في حربهم ضد البرابرة.

وينظر أرسطو إلى علاقات السادة بالأرقاء على أنها لا تناسب الأغريق حيث إن هناك من هم أرقاء في كل مكان، ولا يوجد أرقاء في مكان آخر[41].

الملكية عند أرسطو

اختلف أرسطو مع أستاذه أفلاطون اختلافاً جوهرياً فيما يتعلق بالملكية الفردية المتعلقة بملكية الحكام. فبينما وضع أفلاطون شروطاً قاسية على ملكية الحكام لأسباب اجتماعية تعود إلى تقليص ظاهرة الصراع الاجتماعي، فإن فلسفة أرسطو كانت تتبنىٰ الملكية الخاصة لأسباب عديدة أبرزها:

1 ـ إن الملكية الخاصة حافز على التقدم محاولاً الربط بين المصلحة الفردية وبين التقدم الاجتماعي.

2 ـ إنها باعث على السعادة والسرور ما دام البشر يجمعون الثروة بأنواعها، ولكنه ينظر للملكية الفردية باعتبارها احترام الذات والتخفيف المادي للذات مع رفضه للأنانية.

3 ـ الملكية الخاصة في نظره هي دافع للكرم والجود والسخاء باعتبار أن الكرم ما هو إلاّ صورة من صور استخدام الملكية.

4 ـ يؤكد على أن الخبرة التاريخية لا يمكن تجاهلها ما دامت الملكية الخاصة جزءاً من تجارب التاريخ[42].

وباختصار فإن فلسفة أرسطو تقوم على أساس المساواة في الملكية، والأهم عنده ليست فيمن يملك، بل كيف يستخدم هذه الملكية، وبمعنىٰ آخر إنها ترتبط بالمسألة الأخلاقية والاجتماعية أكثر من ارتباطها بالجانب السياسي والاقتصادي.

obeikandl.com

خلاصة أفكار أرسطو

1 ـ البحث عن الإنسان من حيث أنه عضو في جماعة سياسية وذلك هو الجانب الاجتماعي والسياسي.

2 ـ البحث عن الإنسان من حيث إنه عضو في جماعة له حقوق وعليه واجبات وهذا هو علم الأخلاق.

3 ـ البحث عن الإنسان من حيث أنه مفكر وهذا هو علم المنطق.

4 ـ البحث عن الإنسان من حيث إنه مفكر يريد أن يعبر على ما في خاطرهِ من صور وحكم وهذا هو علم البيان[43].

5 ـ معرفة النفس هي أساس كل الفضائل. ولأول مرة في التاريخ نسمع بفلسفة تقول بوجوب البحث عن النفس في مادية الأشياء التي تحمل في طياتها جوهرها.

6 ـ تفكيره لم يكن ضمن نطاق الحكمة والفلسفة الطوباوي. وكان أول من بحث في الطبيعيّات والمادة حتى في أبحاثه الروحية والنفسيّة.

7 ـ سعادة الإنسان لا تتم إلاّ بتفهم شؤون مختلف الطبقات الاجتماعية، وكان أرسطو أول من علق سعادة الإنسان على علاقة الناس الاجتماعية[44].

8 ـ الفكر الاجتماعي لأرسطو قام على فرضيات أبرزها[45]:

ـ التأكيد على دينامية المجتمع واعتبار التغير شرطاً أساسياً لحياة المجتمعات الإنسانية، أيّ الأخذ بفكرة النسبيّة الزمانية والمكانية.

ـ الاهتمام بدراسة البناء الاجتماعي من الناحية المورفولوجية الاجتماعية ومن الناحية الوظيفية الواقعيّة الممتزجة بالأحكام والقيم الأخلاقية.

ـ إبراز أهمية التوازن والتغيير الديموجرافي في الوضع الاجتماعي.

نماذج أسئلة الفصل الثالث

س[1]: وضح بإيجاز أبرز الأفكار الاجتماعية للمفكرين: سولون، بركليس، كلستينيس، سقراط.

س[2]: لخص أفكار أفلاطون بما يتعلق بالطبقات الاجتماعية والتخصص وتقسيم العمل. محاولاً استنباط مساهماته في الفكر الاجتماعي.

س[3]: شكلت القوانين ركناً أساسياً في الفكر الاجتماعي عند أفلاطون حيث جعلها الأساس الجوهري في تنظيم الحياة الاجتماعية.

اشرح أبرز أفكاره ومساهماته في إغناء الفكر الاجتماعي.

س[4]: كيف فسر أرسطو نشأة المجتمع؟ اشرح ذلك بالتفصيل مع الأمثلة.

س[5]: يحدّد أرسطو مفهوم الدولة بأنها المجتمع. اشرح هذه الفكرة مبيناً أفكاره في مجال المجتمع السياسي.

س[6]: كيف ينظر أرسطو إلى الأسرة ووظائفها الاجتماعية؛ موضحاً علاقتها بالفكر الاجتماعي السائد آنذاك.

س[7]: اكتب في الموضوعات الآتية:

أ ـ الرق عند أرسطو.

ب ـ الملكية عند أرسطو.

جـ ـ الأسرة عند أفلاطون.

س[8]: اكتب خلاصة لخصائص الفكر الاجتماعي عند أفلاطون.

س[9]: ما هي أبرز خصائص الفكر الاجتماعي عند أرسطو.

س[10]: اذكر الفروقات الجوهرية بين أفكار أرسطو وأفلاطون.

هوامش الفصل الثالث

(1) Ernest Barker, Greek Political Theory. London METHUEN & Co.ltd. 1960) pp.3-6.

(2) البير رينو، سير ملهمة من الشرق والغرب، القاهرة، 1972، ص 11.

(3) د. جورج حنا، قصة الإنسان، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار العلم للملايين 1979) ص 31.

(4) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة د. زكي نجيب محمود، الجزء السادس (بيروت: دار الجيل للنشر والطباعة 1988) ص 129 ـ 131.

(5) د. محمد نور فرحات، تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، (القاهرة: دار الثقافة 1979) ص 171.

(6) د. عبد المجيد محمد الخضراوي، تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، (الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية 1972) ص 254 ـ 355.

(7) د. إبرهيم درويش، النظرية السياسية في العصر الذهبي، (القاهرة: دار النهضة العربية 1973) ص 92 ـ 93.

(8) د. لطفي عبد الوهاب، اليونان ـ مقدمة في التاريخ الحضاري (بيروت: دار النهضة 1979) ص 128.

(9) د. طه حسين، علم الاجتماع، الطبعة الثانية (بيروت: دار الكتاب اللبناني 1975) ص 339.

(10) المصدر السابق، ص 351 ـ 355.

(11) ول ديورانت، قصة الحضارة، مصدر سابق، ص 13.

(12) المصدر السابق، ص 7.

(13) المصدر السابق، ص 235.

(14) د. محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، الطبعة الثالثة (بيروت: منشورات عويدات 1982) ص 105.

(15) د. جورج حنا، قصة الإنسان، مصدر سابق، ص 36.

(16) برتراند رسل، حكمة الغرب، ترجمة دكتور فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد (62) الجزء الأول (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1982) ص 43.

obeikandi.com

(17) أفلاطون، **جمهورية أفلاطون**، ترجمة حنا خباز، الطبعة الثانية، (بيروت: دار العلم 1980) ص 57.

(18) د. محمد بيطار، **الفلسفة اليونانية: مقدمة ومذاهب** (بيروت: دار الكتاب اللبناني 1973) ص 88 ـ 89.

(19) د. محمد جلال وعلي عبد الباقي، **الفكر السياسي في الإسلام** (الإسكندرية: دار الجامعة المصرية 1978) ص 252.

(20) د. جورج حنا، **قصة الإنسان**، مصدر سابق ص 38.

(21) د. ناجي التكريتي، **الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام**، (بيروت: دار الأندلس 1982) ص 76.

(22) د. حسن شحاته سعفان، **تاريخ التفكير الاجتماعي**، (القاهرة: دار النهضة العربية 1966) ص 4.

(23) جورج هـ. ساباين، **تطور الفكر السياسي**، ترجمة حسن جلال العروسي، الكتاب الأول، (القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ) ص 85.

(24) **أفلاطون، جمهورية أفلاطون**، مصدر سابق، ص 159 ـ 160.

(25) د. أميرة حلمي مطر، **في الفلسفة السياسية**، (القاهرة: دار الثقافة، 1978) ص 38.

(26) **Barker, Ermest, Greek Political Thought; Plato and His Predecessoars**. London: Methuen & Colted, 1960. pp.373-376.

(27) ول ديورانت، **قصة الحضارة**، مصدر سابق، ص 489.

(28) أرسطو، السياسات، ترجمة الأب أوغسطينس بربارة البولس، (بيروت: اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية 1957) ص 3.

(29) أرسطوطاليس، السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد (الرياض: منشورات الفاخرية، بدون سنة النشر) ص 5.

(30) ول ديورانت: **قصة الحضارة**، مصدر سابق، ص 497.

(31) المصدر السابق، ص 504.

(32) أرسطو طاليس، **السياسة**، مصدر سابق، ص 98.

(33) أرسطو، **السياسات**، مرجع سابق، ص 5 ـ 10.

(34) Curtis, Michael Ed. **The Creat Political Theories**, New York: The Mearts Corporation 1973 (2vols). pp.83-85.

(35) أرسطو طاليس، السياسة، مصدر سابق، ص 27.

(36) المصدر السابق، ص 31.

(37) د. عبد الرحمن بدوي، أرسطو، طبعة ثانية (الكويت: وكالة المطبوعات، 1980) ص 65.

(38) أرسطو طاليس، السياسة، مصدر سابق، ص 4.

(39) د. أحمد الخشاب: دراسات أنثروبولوجية، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ) ص 123.

(40) Marry J.Jaffa, "**Aristotle, in leostrauss and Joseph Cropsey, Eds, History of Political Philosophy** (Chicago: Rand Mcnally & Co.1963) pp. 73-77.

(41) أرسطو طاليس، **السياسات**، مصدر سابق، ص 58 ـ 61.

(42) د. محمد علي محمد، **تاريخ الفكر الاجتماعي** (القاهرة: دار المعرفة الجامعية 1994) ص 25.

(43) د. جورج حنا، مصدر سابق، ص 39 ـ 40.

(44) د. أحمد الخشاب، **التفكير الاجتماعي ـ دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية** (بيروت: دار النهضة العربية 1981) ص 135.

obeikandl.com